الأدب المقارن: النشأة، والتطور:

- البدايات الأولى:

ترجع نشأة الأدب المقارن إلى حوالي 1827 في فرنسا، حين بدأ "آبيل فيلمان" "Abel Villemain " في إلقاء محاضراته بجامعة الصربون حول عَلاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية الأخرى. والجدير بالذكر أن "فيلمان" هذا هو أول من استخدم مصطلح "الأدب المقارن" وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفي الأدبي.

إلا أن محاولات المقارنة بين الآداب ظهرت قبل "فيلمان" بسنوات عديدة "العصر الروماني مثلًا".

هذا وقد شهد القرن الثامن عشر بعض المحاولات من هذا النوع نتيجة لعوامل عدة نذكر منها:

أ‌- اتساع الأفق الأدنى لدى الباحثين نتيجة ازدياد الصلات الثقافية بين الشعوب.

ب- ظهور اتجاه قوي نحو العالمية، أو ما يسمى بالكوسموبوليتية "Cosmopolitisme" الذي يختلف عن فكرة التعالي في الأدب، أي: وجود أدب مميز عن الآداب الأخرى.

ج- تطور الاتجاه الرومانسي في الأدب حتى أصبح اتجاهًا إنسانيًّا شاملًا يهتم بالتجربة الإنسانية.

د- اتساع المناهج العلمية في فهم الأدب ودراسته، وانتشار المقارنات العلمية بين الأمم ومحاولة العلماء الاستفادة مما وصلت إليه التطورات العلمية خارج حدود بُلدانهم، مما نجم عنه نشأة فروع جديدة من المعرفة تعتمد على المقارنة، مثل "علم الحياة المقارن" و "علم التشريح المقارن" و" علم اللغة المقارن، ومن هنا انتقلت العدوى إلى الدراسات الأدبية، وبهذا ظهر بعض الباحثين الذين كانوا ينادون بضرورة ظهور "علم أدبي مقارن"، وكان في مقدمة هؤلاء "إدغار كوينيه" "E.Quinet".

هـ- تأثير المكتشفات العلمية في حقل العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ...

و- ظهور نظريتي "تين" "Taine"، و"سانت بوف" "Ste boeuve" التي تربط بين الأدب والمحيط الذي يعيش فيه.

هذا، وتعتبر فرنسا المهد الأول للأدب المقارن؛ نظرًا لعوامل ثقافية واجتماعية وسياسية أهمها:

1- كان المناخ الثقافي الفرنسي منذ العصر الكلاسيكي مواتيًا لممارسة البحث الأدبي المعمق، لا سيما بعد أن تعاقب على فرنسا حكام اهتموا بالعلم والثقافة، وعملوا على جعل فرنسا مركزَ إشعاعٍ ثقافي في أوروبا.

2- كان الفرنسيون أول مَن تنبهوا إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوروبية الأخرى، مما أنشأ الأساس الأول للتفكير في الأدب المقارن.

3- رغبة فرنسا الشديدة في استرجاع مكانتها الثقافية الماضية من خلال التوسعات الاستعمارية في البلدان الإفريقية.

هكذا إذن وبعد "فيلمان" أتَى "جان جاك أمبير" "J.J.Ampère" الذي ألقَى عام 1830 محاضرات في الأدب المقارن لفتت إليه الأنظار، مما أدى إلى الانتقال من مرسيليبا إلى الصوربون، حيث كان يلقي محاضرات حول الأدب الفرنسي وعلاقاته بالآداب الأخرى في العصور الوسطى.

وفي عام "1835" ظهرت مقال "فيلاريت شال" "Ph.Chales" في مجلة باريس مؤكدةً متانة العلاقات بين الآداب الأوروبية.

وكان "جوزيف تكست" "Josephe Texte" أول مَن كتب دراسات عميقة في الأدب المقارن جمعها تحت عنوان: "دراسات في الأدب الأولى" سنة 1898م، وكان لها أثر قوي في نمو الأدب المقارن.

وبعده جاء "فرناند بالد نسبرجية "F. Baldensberger" الذي ألف كتابا بعنوان "غوته في فرنسا" سنة 1904، ثم عُين أستاذًا في الصوربون، حيث أحدث كرسيًا للأدب المقارن سنة 1910، وفي سنة 1903 انعقد باريس مؤتمر عالمي جمع أساتذة الأدب في فرنسا وخارجها، حيث بحثوا في موضوع التاريخ المقارن للآداب، وقد دعوا في هذا المؤتمر إلى دراسة التراث الشعبي والأساطير والخرافات جنبًا إلى جنبٍ مع الأدب، كما أكدوا على ضرورة المقارنة بين مختلف الآداب الأوروبية.

هكذا كانت فرنسا سبَّقة إلى إنشاء هذا الفرع المعرفي الأدبي.

وإلى جانب فرنسا هناك بريطانيا التي ظهر فيها أول كتاب في الأدب المقارن ما بين عامي 1837-1839 في أربعة مجلدات بعنوان: "مقدمة لدراسة الأدب الأوروبي في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر والقرن السابع عشر" لهنري هالام "Henry Hallam"؛ ويعتبر الشاعر والناقد الإنجليزي "ماثيو آرنولد" "M.Arnold" أول مَن جارَى الفرنسيين في استخدام مصطلح "الأدب المقارن" أذاعه بين القراء.

أما في ألمانيا فكان يعتبر الأدب المقارن فرعًا من تاريخ الأدب وكان الأستاذ "كاسبيردانيال مورهوف" "Kasper Daniel Morhof" أول مَن تنبه إلى أهمية الأدب المقارن في الدراسات الجامعية، وأول مَن أدخله في المناهج الدراسية تحت اسم "تاريخ الأدب العام"، وظل الحال على ما هو عليه حتى نهاية القرن التاسع عشر.

لم يتفرغ الألمان لدراسة الأدب المقارن إلا بعدما أشبعوا أدبهم القومي دراسةً وبحثًا، ولم يدخل الأدب المقارن إلى الجامعة إلا في سنة 1887 على يد الأستاذ "ماكس كوخ" "Max koch" الذي نشر أول عدد من مجلة "الأدب المقارن".